



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية - جامعة غرداية

مجلة إسهامات للبحوث والدراسات

E-ISSN. 2543- 3636 / P-ISSN. 2543- 3539

<http://ishamat.univ-ghardaia.dz/index>

مجلة إسهامات للبحوث والدراسات

## العقل الناقد في عالم متغير

الأستاذ الدكتور إسماعيل نوري الربيعي

الجامعة الأهلية – البحرين

imseer60@gmail.com

### الملخص:

(عالم سريع التحول) هكذا يبدأ عالم الاجتماع الإنكليزي أنطوني جيدنز ، كتابه (عالم جامح). حيث التأثير الهائل الذي راح يعيشه العالم الراهن تحت وطأته، جراء التطورات العلمية والتقنية ، والقفزات المذهلة في طرائق التفكير الإنساني. إنها الثورة المعرفية التي تبدت ملامحها عبر استحداث نمط التفكير الجديد القائم على الإعلاء من شأن العقل، والخلاص من هيمنة السطوة والقوة ، التي كانت تمارسها سلطة الإكليروس والكنيسة الكاثوليكية على أوروبا. لقد تسلل العقل وراح ينشر بقلوعه على الواقع، مقابل ذواء الخرافة التي كانت تشكل عقبة في وجه التفكير الحر.

كلمات مفتاحية : العقلانية، الفهم والتكوين، الحرية والسيطرة، صناعة الواقع، التفكير الخلاق

### Abstract

(A rapid -switching world ) So begins the English sociologist Anthony Giddens , in his book ( Passionate world). Where the enormous impact which live in current world under the brunt of it, due to scientific and technological developments, and spectacular jumps in the modalities of human thinking. It is the cognitive revolution that emerged features through the creation of new thinking pattern based on the upholding of like mind, and salvation from dominance and power, which was exercised by the authority of the clergy and the Catholic Church in Europe. That is the infiltrated the mind and spread on fact, against weakness myth that was an obstacle in the face of free-thinking.

**Key Word:** Rationality, Understanding and configuration, Freedom and control, Manufacturing reality, Creative Thinking

## - العقلانية.

جاء التفكير الحر الذي حمل مشعله فلاسفة التنوير منذ القرن الثامن عشر. ليؤكد على مدى العلاقة القائمة بين ( الفهم و التكوين) . إنها الجدلية القائمة بين الفهم العميق للواقع، انطلاقاً من تقديم العقلانية ( أنطوني جيدنز ، 2003، ص 17) ، ليكون التأهيل نحو تشكيل وصناعة الواقع. إنها فعالية ( الحرية والسيطرة ) . حيث الحرية المستندة إلى الخلاص من ربكة الماضي والعبودية له ( Natasha Gill, 2010, p 67 ) . و التطلع نحو الإفادة من مؤهلات وإمكانات للسيطرة على الواقع ، وبالتالي التطلع نحو المستقبل بثقة غير قابلة للاهتزاز.

لا سبيل إلى صناعة الواقع من دون فهمه. هكذا فسر المنهج الماركسي ( Marios Camihis, 1979, p 94) طبيعة العلاقة القائمة بين التطور التقني والعلمي، والتطلع نحو انتظام الواقع واستقراره واستمراره. باعتبار السيطرة عليه، من خلال الفهم والإدراك العميق للتفاصيل التي يزخر بها. لكن السيطرة هذه، سرعان ما غدت عرضة للوهن والضعف. فما حققه العلم و التقنية من سيطرة ، على المجمل من التفاصيل التي تقوم عليها الطبيعة. صارت هي اليوم بمثابة العامل المباشر في فقدان تلك السيطرة . فقد جاءت العواقب تحمل بنذرهما المتشائمة حول التلوث البيئي، والاحتباس الحراري، وزيادة معدلات الضغوط النفسية و الاكتئاب وارتفاع معدلات البطالة، ومخاطر تسرب الإشعاعات النووية، وتعرض الأسواق العالمية للأزمات الحادة والمخاطر المحدقة. و هكذا تراجعت سرديّة ( الواضح والمؤكد) تلك التي راح العلم والتقانة تفاخران بها، طيلة القرن والنصف الماضية من عمر البشرية، وراح العالم اليوم يعيش هاجس الخواف والقلق والتحسب، جراء كوارث غير محمودة العواقب.

## - الممارسة

يكشف عصر الثورة المعلوماتية الذي يعيش عالمنا لحظته الراهنة. عن أحوال التفوق العلمي و التقني الذي بلغه العنصر البشري وعلى مدى المجمل من تاريخه الحضاري. إنها الثورة الاتصالية تلك التي راحت تتمثل في القنوات الفضائية والشبكة العنكبوتية وجهاز المحمول، والأجيال المتلاحقة من الكومبيوتر الدفترى و اللوحي . إنها الأنماط الجديدة التي أفرزتها الممارسات المستندة إلى الاقتصاديات الرمزية ، وتنامي حركة البنوك والمصارف، وتطور فعاليتها. وهي الشفافية حيث الوضوح الذي راح ينشر بتفاصيله ، على المجمل من الممارسات الثقافية والاجتماعية والسياسية. وهي الديمقراطية حيث التوجيه نحو تبني النموذج السياسي القائم على نموذج الحرية و المساواتية والعدالة وحقوق الإنسان والشرعية الدولية . وهي العولمة تلك التي يتم من خلالها، إعادة تشكيل العلاقات الدولية من قبل أحادية القطب الأمريكي. وهو الصراع الثقافي الذي راح يبشر بالمزيد من الصراعات والتوترات ، بين الأصولية المتطلعة للتمسك بهويتها، باعتبار التهديد الذي راح تشكله العولمة لها. والحديث عن التعددية والتعايش والقبول بالآخر

الذي راح يصدر عن المجتمع الدولي ، باعتبار أن العالم راح يعيش أقصى حالات التقارب الاتصالي ( Wenjiang Du, p 313 ). حتى صارت العلاقات الإدارية والاجتماعية تدار بواسطة جهاز الكمبيوتر اللوحي. إنه عصر الشريحة الإلكترونية حيث البطاقة الذكية ، والحكومة الإلكترونية والشراء والبيع الإلكتروني. إنه التلازم و التقاطع الذي راح يفرضه الواقع في مسائل الأمن الغذائي ومشاكل النقل، وقضايا التعليم والتدريب . وطريقة التعاطي مع مفهوم التنمية انطلاقاً من المتابعة والتقييم ووضع المعايير الملائمة والشروط المناسبة. عصر يقوم على القابلية الواسعة للابتكار والإبداع والتفكير الخلاق. والاستجابة الواعية للعلاقات اللاهثة والمتسارعة، التي يفرضها واقع التحولات والتطورات العلمية ( صائب الألوسي ، 1985 ، ص 71-79 ) والمخاطر الناجمة عنها. حيث لا مكان للخائفين والمترددین، عصر محركه يقوم على المنافسة المحترمة ، والمغامرة التي لا تعرف الهوادة أو التوقف.

### - الطاقة المفكرة

ما هو المتاح والممكن لمواجهة كل هذا الزخم الذي يعيشه العالم؟ هل يتم الاكتفاء بالوصف والبحث عن التفاصيل وتراكماتها؟ أم أن الواقع يبقى يفرض جملة من المعطيات التي لا بد أن تتوافق مع المعطيات الجديدة . عصر العقلانية الذي دشنته البشرية منذ القرن السابع عشر. إنما قام على الإعلاء من قيمة ( الطاقة المفكرة ) على حد تعبير المؤرخ توينبي. ( Richard Paul, 2007, p 137 ) ، حيث الحرص على تنميتها والاهتمام بها ووضع البرامج والخطط الكفيلة برقيها، وجعلها جزءاً من المنظومة الاجتماعية والثقافية ، وليس مجرد شعار أو لافتة يتم من خلالها الترويج لفكرة طارئة ، أو العناية بموضوعة ثقافية عارضة.

التفكير الناقد مهارة يمكن اكتسابها، من خلال العمل الجاد والدؤوب ، و المتابعة العميقة ، والملاحظة الدقيقة والقراءة الواعية ، والتراكم المعرفي. قد يتأتى للبعض موهبة الحس النقدي الفطري، باعتبار توافر موهبة الملاحظة، لكن هذا الإحساس يبقى قاصراً باعتبار الحاجة ، إلى المنهجية التي تقوم على قواعد صارمة ، من أجل الحصول على المعرفة ، فالنقد في أصله معرفة منظمة ، تقوم على الكشف عن الأخطاء واستبعادها، على حد تعبير كارل بوبر. ومن هذا تنبؤ أهمية التطلع نحو الأخذ بجملة من فعاليات التفكير المستندة إلى الاستنباط والاستقراء والتحليل، لتتوافر القدرة على مواجهة المشاكل التي تعترض البحث العلمي والحقل المعرفي والتخصص الدراسي، بل والتفاصيل التي تقوم عليها الحياة. فالتفكير الناقد ليس بالعملية الطارئة لمواجهة مشكلة آنية ، أو رغبة تعن على شخص ما من أجل تفحص حالة ، بقدر ما هو مسار حياة متكامل، باعتبار ما يقوم عليه من أهمية في طريقة صنع القرار. أيا كان نوعه وزمانه ومكانه. إنه الموقف الإنساني الصادر من المرء بحق العالم الذي يعيش فيه ( Henry Sussman 2005, p 153 ) وهو الرؤية الدالة والمتجددة ، والتي تساهم وبفاعلية في التكيف مع التفاصيل،

والمواقف والمعلومات والتحولات والتطورات، التي راح العالم الراهن ينتجها بقوة لافتة ، حيث عصر المعلوماتية الجامح والعصي على السيطرة.

### - التمييز

يعود الجذر اللغوي لكلمة نقد في لسان العرب إلى : (النقْدُ: خلافُ النَّسيئةِ. والنقْدُ والتَّنْقَادُ: تمييزُ الدراهم وإخراجُ الزَّيْفِ منها ، وقد نَقَدَها يَنْقُدُها نَقْدًا وانتَقَدَها وتَنَقَّدَها ونَقَدَها إياها نَقْدًا: أعطاه فانتَقَدَها أي قَبَضَها. ونَقَدْتُ الدراهم وانتَقَدْتُها إذا أَخْرَجْتَ منها الزَّيْفَ. وناقَدْتُ فلانًا إذا ناقشته في الأمر.) النقد هنا فعل يقوم على الحضور المباشر ، حيث التقاطع مع التأجيل، وهو التمييز النابه، الذي يتم من خلاله رصد المزيف والضعيف والواهن، وهو المناقذة الواعية القائمة على الحوار والنقاش وسبر غور العقول. إنه التفحص الدال ، الذي يفضي إلى الفصل بين الحسن والقبيح، الخطأ والصواب، السليم والعليل، القوي والضعيف، العميق والضحل.

النقد على الصعيد المعرفي؛ مقياس عقلي، يقوم على قواعد راسخة و محددة، للرؤى والتصورات والأفكار، والمفاهيم والمصطلحات، المتداولة في مجال معين. هدفه إصدار الأحكام العلمية، وبناء المواقف الإدراكية، واتخاذ القرار، من أجل نمو المعرفة. ولم تكن ممارسة التفكير الناقد غائبة عن الواقع الإنساني، بل أن النمو الحضاري وتطور الفعاليات البشرية على المجمل مع العلاقات والمواقف ( عزيزة السيد 1995، ص 12) ، إنما كان نتاجا طبيعيا للموقف الذي اتخذه الإنسان ، حول المزيد من القضايا، الثقافية والجمالية والدينية والاجتماعية والسياسية. هذا بحساب أن الإنسان انطلق في المجمل من صياغة الأسئلة بناء على الموقف الناقد . حول علاقته بالمكان والطبيعة التي تحيط به، وما كان له أن ينجز الصروح المعمارية، و يصنع كل هذه الرموز الجمالية ، والتي تمثلت في النصب والتماثيل والرسوم الجدارية والنقوش، والإبداع في الأزياء، لولا الموقف النقدي الذي تبناه. وما كان له أن يؤمن ويتعبد ويتدين ( Michail Hattersley 2009, p 55)، أو يوصل لعلاقات القرابة والزواج والعائلة، والولاء والانتماء للأوطان. أو التوجه إلى ميادين العمل والإنتاج والإنجاز، لولا توافره على ملكة التمييز ، وبناء المواقف الإدراكية ، تلك التي ساهمت في مسيرة تاريخ البشرية ونمو الحضارة الإنسانية.

### - اعرف نفسك

افتتح الفيلسوف الإغريقي سقراط، درسه الفلسفي بعبارة: ( اعرف نفسك) ( James Engell 1989, p 177). فكانت الانطلاقة المنظمة في توجيه التفكير الناقد، حول هذا الممكن الإبداعي، والمتمثل بالذات الإنسانية . إذ لا سبيل لعقد أواصر العلاقة مع هذا العالم، وهكذا كانت المثابة الفلسفية التي تم من خلالها تفسير العالم، قد قدحت شرارتها بفعل، حث

روح الابتكار والإبداع والفعل والإنجاز و الممارسة . من خلال التركيز على التمييز في صلب النفس. حيث المسعى إلى التوفيق بين الذاتي الموضوعي، و التطلع نحو تكييف المعطيات الذاتية مع المجمل من التفاصيل التي يعج بها هذا العالم، في جدلية لا تني عن التفاعل، عبر منظومة الخلق والابتكار والتجديد.

التفكير الناقد قوامه الرئيس يستند إلى الممارسة في صلب الحياة، بمعنى أن النقد يطال أصل فكرة الممارسة ذاتها. من خلال التأكيد على تأمل مجمل الظواهر التي تحيط بالإنسان. ومن هذا فإن المسعى الرئيس والقاعدة الجوهرية في النقد (Peter Morton 2010, p 114) ، إنما تستدعي الآليات الأصلية للتفكير الإنساني وجعلها عملية فاعلة و أكيدة وراسخة في الحياة ، وليست عملاً تكميلياً أو مظهرًا زائفاً. إنه التفسير للمجمل من العلاقات والوظائف والأهداف والغايات والحقائق التي يتم تداولها. وهو الوسيلة التي يتم من خلالها رسم معالم الفاصلة بين ما هو ممكن ومتاح وسائد وبديهي، وبين ما هو مرغوب فيه ومطلوب. عندئذ يكون التفكير الناقد جزءاً رئيساً وفاعلاً في صلب الفعالية الإنسانية ، وليس مجرد لحظة إتمامية ، أو خطوة منهجية مكتملة ، يصار إلى ممارستها، بعد الانتهاء من الخطوات المنهجية المقررة، للوصول على الغاية والهدف. إذ لا يمكن للمرء من أن يخطوا شبرا في الأرض أو يسعى نحو غاية ما، من دون أعمال ملكاته العقلية في : أين أنا؟ ماذا أريد؟ ما هي نتيجة الفعل الذي أقوم به؟ النقد هنا ليس هاجساً نفسياً مضطرباً، ولا هو بالفوبيا التي تعتري الدوافع والنوازع الإنسانية William (James 2002, p 29) . ولا هو بالعصاب النفسي، بقدر ما هو: جوهر تفاعلي لإنتاج الفكرة اللازمة، من أجل المضي في فعالية التفكير. إنه الحافز والمحرك والممون الرئيس لأية فعالية تفكير ممكنة. وبهذا فإنه يشكل الحضور الفاعل في صلب الفعاليات الحياتية، حيث المساهمة الجادة والراسخة في صناعة المعنى (Agenieszka Barszczewska 2011, p 169) ، الذي يظل جل تفاصيل الحياة، الطبيعية منها و النظرية. حيث الإبداع والابتكار الذي يساهم في التغيير والتجديد، لكل ما هو سائد وشائع وثابت وراسخ. إبداع هاجسه التطلع نحو التنشيط والتفعيل، وليس الخضوع للعلاقات التي تفرضها القوى التقليدية، الساعية إلى نشر أيديولوجيتها وعقيدتها الفرعية.

## – الحراك العقلي

التفكير الناقد تمثيل للكشف عن المخابئ التي تتحصن فيها الدوغمائية، (Nicola Smith 2011, p 122) ، تلك التي تقوم على الخضوع البليد والمتهاون، والامتثال السلبي للأفكار السائدة والشائعة . إنه قوة الحراك العقلي القائمة على :

1. البحث العميق في قيمة الفكرة . باعتبار ما تحويه من برهان عقلي ، و الإيمان بنسبية الأفكار.
2. الأحوال والأوضاع التي ساهمت في صياغتها وتكوينها.
3. العواقب الناجمة عنها، والآثار التي تتركها على الواقع. و الكشف عن المصالح، ومواطن الاستغلال التي تتم ممارستها ( Jens Peter 2010, p 312 ) ، من قبل الجماعة الراعية لفكرة التعصب، ورفض ثقافة الحوار والمشاركة.
4. دحض المزاعم والادعاءات الساعية ، على إمرار نسق ثقافة القطيع والتأييد المطلق ، القائمة على فكرة التشدد لمذهب أو اعتقاد سياسي أم اجتماعي أو اقتصادي.
5. إبراز مواطن المضمهر من المعاني المخبوءة، و المسكوت عنها. ورفض الأحادية في التفكير ، أو اختزال المعاني في فرد أو جماعة. و الالتزام بفكرة التقدم والتغيير والتحول الدائم للواقع .من خلال الوعي بالحوار البناء ( Hitomi Takemura 2000, p 20 ) ، القائم على الدليل العقلي.

## – الحرية

يقوم التفكير الناقد على الحرية ، تلك التي تسعى نحو تحرير الفرد من الخضوع للامتثالات الجاهزة. فهو الانتظام وليس التسبب، وهو الدقة وليس الترهل، حرية تسعى على خلق الأجواء الراعية للتفكير الخلاق والإبداعي، الخالي من التحريم والتكفير والتخوين والابتزاز والإقصاء والتهميش. حرية تمنح الفرد الاختيار الواعي في القرار، من دون وصاية أو هيمنة أو توجيه ضاغط ( John Hogan 2005, p 97 ) . حيث الخلاص من العقبات التي تحد مسار التطلع نحو الإنجاز، المادي والنظري. فقد ولد الإنسان حراً. ومن هذا فإن خياراته يجب أن تكون صادرة بوعيه وإرادته. الحرية حق طبيعي، لا تحتاج إلى دليل أو برهان ، فهي مكون طبيعي وأصيل في صلب البناء الإنساني. لكن هذا المكون لا يقوم على الانفلات والتقاطع مع الواقع، فهي تنتهي عندما تصطدم بحرية الآخرين ، كما أشار إلى ذلك فولتير ( Dana Kay Nelkin ) ( 2011, p 36 ) . إنها المقوم الفردي، حيث الحق في القول والحركة والمعيشة والانتقال وإبداء الرأي، وهي المقوم الجماعي حين يكون التطلع نحو الحرية الهامة الشاملة الساعية إلى الخلاص من السيطرة والتحكم والنهب والاستغلال، الذي تمارسه قوة أجنبية بحق مجتمع أو أمة أو دولة. إنها الإرادة الحرة القائمة على الخيار الإنساني في الحياة وتقرير المصير، والقبول والرفض.

حرية تقوم على التعاطي مع الواقع بعقلانية ، حيث التفاعل المسؤول مع القوانين والخضوع لها، مقابل حصول الإنسان على حقه الحر في الملكية والرأي والقرار، بحسب جون لوك. الحرية هي البيئة التي تساعد على التفكير والتفاعل و ضمان التقدم الاجتماعي ( Edward Peters 1989, p 341 ) . ولا سبيل لبلوغها، من دون المسعى نحو تحرير المجتمع، من الحزبية

والطائفية والقبلية ، ومجمل الانتماءات الفرعية ، وتقديم الولاء إلى الوطن، حيث الانتماء الأصل و الفاعل.

كان لغياب الحرية وشيوع الاستبداد، أثره البالغ على النشاط العلمي في أوربا، فقد هيمنت السلطة الكنسية على المجمل من الشطة الفكرية والمعرفية ، وراحت تمارس رقابتها الصارمة على التفكير والابتكار، حيث تهمة التكفير والهرطقة حاضرة جاهزة ، بحق من يفكر، حتى كانت محاكم التفتيش والتي راحت تمارس دورها في قمع جميع موجّهات التفكير نحو التغيير. فكان من أبرز ضحاياها من العلماء؛ كوبر نيكوس، وغاليلو غاليلي (paul Ehrlich 2000, p395) الذي أجبرته المحكمة على القول بعدم دوران الأرض حول نفسها. و جيوردا نوينو، واسحق نيوتن لقوله بالجاذبية الأرضية.

المجتمع الذي يحترم الحرية العقلانية ، يكون مؤهلا لتولي مسؤولياته التاريخية ، ولديه القدرة على التمييز والابتكار والتجديد، والحفاظ على الطاقات و تثميرها وتخصيها، ومنح الواقع المعنى العميق والأصيل. حيث توافر القدرة على مواجهة المشكلات والمعضلات، والتطلع نحو البناء المتجدد ، الخالي من العقد والمحرمات والتابوهات الزائفة (Mark Runco 2007, p 12)

مجتمع قوامه القدرة والسعة والإمكانية والمهارة. إنها الجدلية القائمة على أحوال التكامل بين ( حرية الفرد وقوة المجتمع) . معادلة لا يمكن التغاضي عنها أو نكران مدى التأثير الذي تنتجه، فالفرد الحر؛ هو القادر على العطاء والانجاز والتفكير والإبداع، ولديه الجرأة على المكاشفة والمجاهرة ورصد الأخطاء والفساد، ومحاسبة المقصر، حيث التطلع نحو بناء المجتمع القوي والسعيد والآمن. فرد حريساوي مجتمع قادر على التقدم. حيث المناخ الذي يسود فيه التفاعل والعطاء والإنجاز. وهكذا تتكشف أحوال المجتمعات المتقدمة (Rosmary O'kane 1996, p 72) ، تلك التي جعلت من الحرية الفردية أصلا غير قابل للمساومة. فكانت النتيجة ، فردا لا يتردد من المجاهرة الصريحة بحقوقه والحفاظ عليها. حيث الرقابة الشعبية التي تؤدي دورها الفاعل في حماية الدستور و القانون والحقوق المدنية.

## - المجتمع المفتوح

يقف التفكير الناقد بالضد من الانغلاق دائما ، إنه دعوة دائمة نحو الانفتاح والقبول بالآخر ، انطلاقا من اعتماد العقل في التفكير والتحليل و التفسير والبناء. هو الوعي الشامل بالحياة ، من دون السقوط تحت هيمنة الانضواء الأيديولوجي، والذي يزعم امتلاك الحقيقة المطلقة والتفسير السليم والصحيح. فيما تكشف التجربة التاريخية عن التعقيم الذي طال العقل، خلال هيمنة الأحزاب الأيديولوجية على المجتمعات ، وهكذا تبدى التجربة النازية والفاشية ، تلك التي تصاعدت الحمى فيها حتى كان من عواقبها الحرب العالمية الثانية، والمآسي

التي طالت البشرية برمتها. فيما وقفت الأنظمة الشمولية (Robin Ramsay 2006) في وجه الطموحات المشروعة لشعوبها، فكانت المقارنة المباشرة والفاضحة بين الكوريتين الشمالية والتوتاليتارية، والجنوبية التي تمكنت من النهوض والتقدم وبناء التجربة السياسية والاقتصادية البارزة في العالم، وهكذا الحال حين يتم إمعان النظر بين هونك كونغ والصين. أو حتى حين تتم المقارنة داخل المنظومة الشيوعية، إذ بقيت دولة تشيكوسلوفاكيا، تمثل تجربة مميزة داخل إطار حلف وارشو، في أعقاب أحداث ربيع براغ عام 1986. يبقى النموذج الشمولي، قائما على تزييف الواقع، حيث الاستناد إلى الإدعاء بالقوة والاكتمال والنجاح والتفوق. إدعاء يقوم على الترويج للنموذج على حساب التفاصيل التي يعيشها الواقع. إنه الاهتمام بالواجهات، حيث العناية الفائقة بشارع المطار، والاهتمام المبالغ فيه بساحة الاحتفالات الكبرى. والفنادق الكبرى التي يتم فيها استقبال الوفود الأجنبية، والاهتمام باللافتات والصور والشعارات، فيما تتم تغطية التفاصيل، واعتبار من يوجه أسهم النقد والتحليل والمطالبة بالتغيير، خائنا ومارقا وعميلا للقوى التي تستهدف الوطن. إنها باختصار ثقافة المؤامرة الساعية نحو تغطية العقل (Kathleen Moore 1989, p 103)، حيث الركود والتوقف والخضوع المطلق للرغبة الجاهزة التي تطلقها الماكينة الدعائية، التي تلهج بالحمد والثناء للزعيم الملهم والأوحد والأبقى والأنقى والأفضل، الخالي من العيوب أو الأخطاء، والذي يقارب في صفاته الآلهة الإغريقية.

بالمقابل يبرز نموذج المجتمع المفتوح، القائم على الإعلاء من دور العقل في تفحص الواقع وملاحظته والكشف عن التفاصيل التي يضج بها. مجتمع يقوم على ثنائية (القانون، المؤسسة) حيث المجتمع المدني الساعي نحو الإعلاء من المصالح العامة، (Suad Joseph 2000, p 215) والعمل على الحفاظ على السلام الاجتماعي، من خلال تأكيد الرؤية المتسامحة المتطلعة نحو الاعتراف بالتفاصيل. الطالح والصالح منها، والعمل على مواجهة المشكلات بروح النقد العلمي، المستند إلى الاعتراف بالمواطنة (Dante Germino 1982, p 148) والحرية في الخيار الاجتماعي والسياسي والاقتصادي. فلا حجر ولا قمع، ولا إرغام قهري، حيث العمل على تحشيد الجمهور في قطعان غفيرة، لا واجب لها سوى التأييد المطلق والتهنئة ويسقط ويعيش، والافتداء بالروح والدم.

المجتمع المفتوح تمثيل للتقاطع مع احتكار المعنى، فكل شيء فيه قابل للنقد والتحري والمناقشة. إنه الإيمان المطلق بقيمة الإنسان واحترام عميق لخياراته. فهو الكائن الناضج الذي يستحق أن يفكر وينقد ويحلل، ويمضي في واثقا في تحقيق ذاته، من دون قيود أو توجيهات. لا قيد سوى قيد القانون والخضوع له، ولا انضواء إلا في العلاقات التي تفرضها المؤسسة الساعية نحو التنظيم، وتوجيه القوى. مجتمع تسوده الشفافية، والرأي الحر العقلاني و

المسؤول ، حيث الحرية في التنقل وممارسة النشاط الاقتصادي ، واعتماد النظام التربوي المستند إلى الإبداع والابتكار، وليس التنميط والنقل.

المجتمع المفتوح مصطلح وضعه كارل بوبر في كتاب نال شهرة عريضة Karl Popper, The Open Society and its Enemies ، منذ صدوره عام 1945. وكان بوبر قد استعار هذا المصطلح من الفيلسوف هنري برغسون (John Dewey 1909, p 82) . تعتمد تلك الأطروحة على ترصد سمات المجتمع المفتوح مقابل المجتمع المغلق، هذا الأخير الذي يقوم على سيطرة القوى التقليدية ، حيث الهيمنة والسيطرة للعادات الثابتة والراسخة، وتفشي روح الاستسلام للخرافة والتشكيك بكل ما هو حداثي وتقدمي. حيث الرفض القاطع لكل ما هو جديد، باعتباره يمثل تهديدا لمصالحها.مجتمع تسعى القوى المسيطرة فيه ، إلى إشاعة روح التهديد بالخطر والويل و الثبور من الآخر، حتى أن تلك القوى لا تتورع من الترويج لقضية كبرى ، يتم من خلالها جذب أنظار الجميع نحوها، مثل افتعال حرب مع دول الجوار، والزعم بأن كل الجهود يجب أن تتوجه نحو الدفاع عن الوطن، وليس التطلع إلى نقد الواقع.

### - كيف نفكر؟

يتوقف جون ديوي عند فعالية التفكير الناقد بوصفها القدرة على عزل التفاصيل الصغيرة داخل التجربة الواحدة، والعمل على مقارنة سلوك تلك العمليات أحدهما بالآخر.. ، إنها عملية تحقق دقيق، قوامها التفحص والملاحظة والتحقق (Robert Ennis 1996, p 72) ، في سبيل الوقوف على بناء الرأي المتعلق بالظاهرة . البناء هنا لا يقوم فقط على ردة الفعل إزاء ظاهرة عابرة ، بقدر ما يكون تمثيلا لمعايير، يتم الاحتكام إليها في سبيل إصدار الأحكام، فعالية دالة لا يغيب عنها التقويم الذاتي الساعي إلى التفاعل مع المواقف. أما جان بياجيه فيعتمد إلى ربط عملية التفكير بمراحل النمو العقلي للإنسان. حيث الإشارة إلى التفاعلات التي تحدث بين الطفل وبيئته ، اعتمادا على اختلال الحد الزمني بين طفل وآخر ، والاختلاف في البيئة الثقافية التي عيش في كنفها ، ويكتسب مهاراته منها. ويعتمد مقترح بياجيه على أربع مراحل، تتمثل في : التفكير الحسي الحركي: وتشمل السنوات الأولى من عمره، حيث الانعكاس الطبيعي. ومرحلة التفكير الرمزي، وتستمر حتى سن السابعة ، وتعتمد على تعلم المهارات اللغوية وتمثل الأفكار السائدة. ومرحلة العمليات العيانية المحسوسة غير المجردة، وتشمل مرحلة الدراسة الابتدائية، حيث يبدأ الطفل تفاعلاته الاجتماعية، والتعرف الجاد على الآخرين. ومرحلة التفكير المجرد، تلك التي تشمل سن الحادية عشر إلى الخامسة عشر. حيث تبرز لديه القدرة على التمييز والعزل وللظواهر، اعتمادا على التفكير المنطقي. يركز بياجيه على أهمية إمعان النظر والتمييز، بين التفكير التوفيقي المستند إلى التصور الذاتي، والتفكير المعقد القائم على التواصل العميق بين الكائن البشري ومحيطه. وهكذا تتضح أمام الملاحظ شبكة من الثنائيات التي تميز التفكير مثل

ثنائية ؛ ( التجريد و التعميم) و ( التحليل والتركيب) . تلك الفعاليات التي تساهم في تطوير وتفعيل مجال التعلم والتعليم. فيما تقوم فكرة التفكير الناقد على ثنائية ( التحليل والتقييم) بهدف تحسين الأفكار والنهوض بها. الفكرة الرئيسة هنا تقوم على خلق معرفة جديدة ، تنأى بنفسها عن المعرفة السائدة والشائعة. وهكذا يكون التفكير الناقد لدى بياجيه ، قائما على ؛ تعميم يسعى إلى طرح البدائل، المستندة إلى توفر البراهين اللازمة. أما إينيس ، فإنه يقوم معنى التفكير الناقد، بناء على اعتماد معطيات التفعيل لمستويات التفكير العليا، حيث المسعى نحو حل مشكلة، انطلاقا من البحث عن المعرفة الجديدة الخارجة عن سياق التنميط (john Stratton 1999, p 44) ، حيث التطلع نحو طرح الأسئلة الفعالة والمبتكرة، تلك الأسئلة التي يتم تكوينها عبر التعرف العميق على تفاصيل المشكلة، ورصد المعلومات والبيانات المتعلقة بها. والعمل على صياغة الفرضيات واختبارها. الغاية في التفكير الناقد تقوم على أن ( إنتاج المعرفة وليس استهلاكها).

### – أنماط التفكير

عادة ما يتم تفسير مفردة Critical النقد ، بأنها الفعالية الساعية نحو ترصد العيوب والأخطاء، والكشف عنها. المنطلق فيها يقوم على الشك ، باعتبار استخدام مبضع التحليل للمشكلة أو الظاهرة. إنها العملية التي تفترض وجود معايير ثابتة وراسخة، يتم مقارنة الظاهرة من خلالها، والسعي إلى مطابقتها مع النموذج الجاهز المفضل. فيما تقوم فعالية التفكير على (تحليل ، تركيب ، تقويم) بحسب التصنيف الذي يضعه بلوم . Bloom Taxonomy ، من هذا فإن النقد إنما يقوم على حلول مقترحة تنطوي على تقويم علمي دقيق للظاهرة، يتم تقديمها من قبل الدارس أو الملاحظ حول مشكلة ما. وهو مسعى نحو وضع الحلول للمشكلة، من خلال التركيز على فعالية اتخاذ القرار المستند إلى عملية التفكير العميق والبدال ( فتحي جروان 1999، ص 27). وذلك باستخدام جملة من الوسائل القائمة على؛ المعرفة المستندة إلى المعلومات والحدس، والاستيعاب و الفهم، والتطبيق المباشر للمعرفة والمعلومات ، وتحليل المادة من أجل إدراك العلاقات القائمة بين عناصر الظاهرة. و التركيب المتطلع نحو ربط الأجزاء، أو تكوين نمط آخر من الأجزاء السابقة، والتقويم باعتبار ربط المادة بهدف محدد. البحث في الحقائق قابلة للبرهنة، من خلال الاعتماد على المعلومة، ورصد مسار الدقة في التعبير. والتطلع نحو البحث في مصدر المعلومة، والمسعى إلى ترصد الفرضيات المبدئية التي يتبناها الباحث ، من خلال تمييز قوة الدليل، والعمل على استشراف ما يترتب عليه القرار المتعلق بالظاهرة.

### – أسس التفكير

يعتمد التفكير الناقد على جملة من الأسس والمعطيات الرئيسة ، يأتي في مقدمتها،

الوضوح؛ حيث الإمكانية التي توفرها تلك السمة في فهم النص، والوقوف على الأهداف التي تعن عليه والغايات والمقاصد المرغوبة والمطلوبة، وبالتالي إمكانية إطلاق الأحكام حول الموضوع. وإلى جانب سمة الوضوح تتبدى أهمية سلامة النص و مصداقيته، فليس كل ما هو واضح يكون سليماً. فقد يقع الناقد ضحية لفكرة شديدة الوضوح قوية العرض، لكنها تفتقد على المصداقية. واعتماد المعالجة الدقيقة، حيث التطلع على التركيز و البعد عن الترهل والتكرار والزيادات التي لا طائل منها. والاستناد إلى الأفكار المترابطة ضمن السياق الموحد، فلا يمكن التعاطي مع فكرة، ونقضها بفكرة غريبة لا علاقة لها بالفكرة السابقة. الترابط سمة رئيسية في التفكير الناقد. واعتماد المعالجة العميقة النائية بنفسها عن التسطيح والابتسار، إنها فعالية تنطوي على الجهد والدقة في تناول الظاهرة. ويبرز الشمول حاضراً في دراسة الظاهرة، حيث التغطية العامة لمجمل التفاصيل والجوانب، التي يقوم عليها النص، إذ لا يمكن العناية بجانب ما، و التغاضي عن الجوانب الأخرى، هذا بحساب أن التفكير الناقد عملية شاملة تستهدف مجمل التفاصيل بغية الخروج بإصدار حكم والقرار برأي. ومن السمات الرئيسية تبرز سمة العلاقات المنطقية، تلك التي تحدد مجال العلاقة بين المقدمات والنتائج، والفكرة والبرهان. إنه التفكير الساعي نحو جعل الأفكار أكثر قوة و رصانة.

### – أهمية التفكير الناقد

تبرز أهمية التفكير الناقد من اعتمادها على التفعيل للعقل، من خلال جعل المعرفة في خدمة الواقع. وليس مجرد معرفة مخزنة، تقوم على الانعزال عن القضايا الحيوية التي تعيشها مجمل التفاصيل التي تقوم عليها الحياة. تفكير يلاحظ ويترصّد ويحلل ويركب ويقوم في صلب الواقع. تفكير يعلي من المعرفة وأهميتها، وهو هذا لا يرضى بالحلول الوسط، إنما يقوم على المواجهة المباشرة مع المشكلات، والمسعى وإلى وضع الحلول والبدائل الممكنة المستندة إلى المنهج العلمي الصارم والدقيق. تفكير يبحث عن العلاقات الصحيحة والسليمة، ومن هذا فإنه يساهم في تطوير القدرات على اتخاذ القرار المناسب، (Wayne Martin 1997) النائي بنفسه عن التحيزات أو السقوط في البديهيات والمسلمات، أو الوقوع في دائرة التطرف لصالح هذا التيار أو ذلك، المقوم الأصل فيه يقوم على تبين العلاقات المنطقية والفرضيات العقلية، والقرار المناسب في الوقت والمكان المناسب. تفكير أساس ومهم ولا يمكن الاستغناء عنه، في ظل الثورة الاتصالية والمعلوماتية. حيث الدفع المعلوماتي الذي راح يغزو العقول، من خلال الترويج لأفكار واتجاهات، عبر التقنيات الرقمية، و الوسائل الدعائية والإعلانية والرموز، إلى الحد الذي بات فيه العقلي البشري يعاني من الحصار، الذي تفرضه المؤسسات والشركات الدعائية، وعلى مختلف الأصعدة السياسي والاقتصادي والاجتماعي، إلى الحد الذي يتم فيه تصنيع نمط الإنسان الاستهلاكي، الخاضع والمستسلم لإرادة تأتية في فلاشات ضوئية وصورية لا تنقطع،

ولا تتردد من الإصرار على بث شفراتها ورسائلها. في ظل هذا تتبدى أهمية التفكير الناقد في الفرز والتقويم، لمواجهة كل هذا الزخم الذي لا يعرف التمهّل أو التكاسل.

### خلاصة واستنتاجات

**أولاً : الموضوعية :** اعتماد الأسس الموضوعية في التعامل مع الظاهرة ، والعمل على التحقق منها بالوسائل العملية المتاحة، وترك الأحكام الذاتية والانحياز العاطفي جانباً، فالنقد عملية علمية وليست ممارسة شخصية. والتطلع إلى الوقوف الجاد والدقيق على النص ، للوقوف على المعلومة القابلة للتحليل والتركيب، وترك مسألة الخوض في التنظيرات العمومية جانباً. والعمل على البحث العميق في المصادقية، لا سيما على صعيد التحقق من المصادر والمعلومات التي يتم طرحها وتبنيها من قبل النص. وترصد مجال الدقة في الأفكار والطروحات الخاضعة لمشرط النقد الباتر، غير الخاضع للمجاملة أو المداورة (David Knight 2003, p 100). إنه التوجه العميق نحو البحث عن الوضوح في الأفكار المقدمة. فالنقد قوامه الوضوح و الكشف عن كل ما هو مضلل وغامض. إنه العمل الساعي نحو التشذيب ونبد كل ما هو مغل ومعتل للعمل المعرفي، وعلى هذا لا بد من الكشف عن المغالطات أو التحاملات التي يتوجه بها نص ما بإزاء تيار أو اتجاه، من دون وضع الأدلة المنطقية والحجج والبراهين العلمية التي تدعم الأفكار المقدمة.

**ثانياً ، بناء الفكرة :** يقوم التفكير الناقد على الصياغة المتناسكة للفكرة ، حيث العقلانية والموضوعية واعتماد النسقية في بناء المادة العلمية . إنها العناية التامة والشاملة ، بالمجمل من العناصر التي يقوم عليها النص، هو الوحدة الواحدة المنسقة والمنظمة والواضحة ، الخالية من الوهن والترهل، وهو الاعتماد على تقديم ما هو رئيس ومهم ، من دون التورط في اقحامات وتداخلات أو العناية بالمؤثرات اللفظية، على حساب قوة المعنى الذي تتطلبه الفكرة الرئيسة.

**ثالثاً، شخصية الناقد:** تقوم على تقديم العقل وجعله السباق على المجمل من التفاصيل الأخرى، عقل منفتح لتقبل الآخر من دون شروط مسبقة، أو قيود أو عقبات، عقل يقوم على الإعلاء من ثقافة الحوار تلك التي تقوم على تلاقي الأفكار والعقول، لا تلك التي لا هم لها سوى المواجهة عبر الجدل الساخن والتسقيط والإلغاء للطرف الآخر. الناقد عقل يبحث عن التمييز بين الحقائق والنتائج، فليس كل نتيجة هي حقيقة. عقل يسعى نحو توطيد أسس المصطلح العملي وضبطه، والإفلات من ربكة الغموض والتشظي والتداخلات في المعنى. الناقد مجهود أصيل ومبتكر يتوجه بكل ما أوتي من جهد للإفلات من سيطرة الشائع والبديهي ، عبر

التطلع الحثيث نحو الإعلاء من قيمة السؤال، المستند إلى روح العقلانية النقدية ، المتطلعة إلى نبذ المؤثرات العاطفية والتحييزات القبلية، أو الولاءات الفرعية.

#### مصادر البحث :

1. أنطوني جيدنز 2003 ، عالم جامح- كيف تعيد العولمة تشكيل حياتنا ، ترجمة عباس كاظم و حسن ناظم ، المركز الثقافي العربي ، بيروت .
2. صائب أحمد الألوسي 1985 ، أساليب التربية المدرسية في تنمية قدرات التفكير الابتكاري ، مجلة رسالة الخليج العربي ، 5(15) .
3. عزيزة السيد 1995 ، التفكير الناقد – دراسة في علم النفس و المعرفي ، مصر – دار المعرفة الجامعية ، القاهرة .
4. فتحي عبدالرحمن جروان 1999 ، تعليم التفكير مفاهيم و تطبيقات ، العين ، الإمارات العربية المتحدة ، دار الكتاب الجامعي.
5. Agnieszka Barszczewska – Lehel Peti ( Editor) 2011 , Integrating minorities: *traditional communities and modernization* , translate by Agnieszka Barszczewska, Krillerion Publesher, Romania .
6. Dana Kay Nelkin 2011 , *Making Sense of Freedom and Responsibility*, Oxford University Press , Oxford .
7. Dante L. Germino 1982 , *Political Philosophy and the Open Society*, Louisiana State Press .
8. David Knight and Dureen Mc Cabe 2003 , *Organization and Innovation*, Mac Grow – Hill Education , Glasgow .
9. Edward Peters 1989 , *Inquisition* , University of California Press, California .
10. Heather Widdows and Nicola J Smith ( Editor) 2011, *Global Social Justice*, Global Social Justice Routledge, New York .
11. Henry Sussman 2005 , *The Task Of The Critic: Poetics, Philosophy, and Religion* , Fordham University Press, Printed in USA .

12. Hitomi Takemura 2000 , International Human Right to Conscientious Objection to Military Service and Individual Duties to Disobey Manifestly Illegal Order, Springer, Verlag Berlin, Heidelberge
13. James Engell 1989 ,Forming *the Critical Mind*. Dryden to Coleridge ,President and Fellows of Harvard College- USA .
14. Jens Peter Brune 2010 , Horst Gronke, Dieter Krohn ( EDS) *The Challenge of Dialogue: Socratic Dialogue and Other Forms of Dialogue in Different Political Systems and Culture*, LIT Verlag , Berlin .
15. John P. Hogan ( edt) 2005 , Cultural Identity, Pluralism and Globalization, volume I, The Council for Research in Value and Philosophy, Washington .
- 16.. John Dewey 1909, How We Think, New York .
17. jon Stratton 1999, Critical Thinking for college student, Maryland
18. Kathleen Dean Moore 1989 , Pardons: Justice, Mercy, and the *Public Interest*, Oxford University Press .
19. Marios Camhis 1979 , Planning Theory & Philosophy, Printed in GB at the University Press, Cambridge .
20. Mark A. Runco 2007 , *Creativity: Theories And Themes: Research, Development, And Practice* , Elsevier Academic Press, Burlington .
21. Michael E. Hattersley 2009 , *Socrates and Jesus: The Argument That Shaped Western Civilization* , Algora Publishing, Printed in USA .
22. Natasha Gill 2010 , Educational *Philosophy* in the French *Enlightenment*: From Nature to Second Nature, Ashgate Publishing Company, Burlington — USA,
23. Paul R. Ehrlich 2000 , Human Natures: Genes, Cultures, and the Human Prospect, Island Press, Washington .
24. Peter Morton 2010 , A Historical Introduction to *the Philosophy of Mind* , Library and Archives Canada Cataloguing in Publication , Ontario .
25. Richard Paul, Linda Elder 2007 , Critical thinking: tools for taking charge of your professional and personal, Prentice Hall .

26. Robert H. Ennis 1996 , *Critical Thinking*, Prentice Hall.
27. Rosemary H. T. O'Kane 1996 , *Terror, Force, and States: The Path from Modernity*, Edward Elgar Publishing, UK .
28. Robin Ramsay 2006 , *Conspiracy Theories*, Old Castle Books Limited,
29. Suad Joseph 2000, *Gender and Citizenship in the Middle East*, Syracuse University Press .
30. Wayne M. Martin 1997, *Idealism and Objectivity: Understanding Fichte's Jena Project*, Stanford University Press .
31. Wenjiang Du ( Editor) , *Informatics and Management Science III*, Springer Publishing , London
32. William James 2002 , *The Meaning of Truth* , General Publishing Company, Toronto .